يستهدف هذا الفصل عرض بعض هذه التحديات بغرض استنفار همم الغيورين على دينهم من المعلمين والطلاب، وقدح زناد فكرهم، إزاء تلك التحديات؛ لأن الإنسان السوى يستجمع قواه البدنية والفكرية تجاه المخاطر التى تهدده، والصعوبات التى تقف أمامه، وهى متعددة ومتنوعة ومتشابكة، وسواء كان مصدرها الأوضاع العالمية المعاصرة، التى يسودها سطوة القوى، وكثرة الظلم، أو التقدم العلمى والتقنى المتسارع أو الوضع الحالى للعالم الإسلامى: ضعفا وتشتتا. ونقطة البداية فى مواجهة هذه التحديات هى "إرادة الصمود" التى هى المعيار الحقيقى، والفارق الجوهرى بين النصر والهزيمة. وفيما يلي عرض لتلك التحديات.

لا تزال دعوة الإسلام والتوحيد تكسب أرضا جديدة كل يوم، فى مختلف أرجاء المعمورة، حتى فى تلك البلاد التى يلقى الإسلام فيها حربا لا هوادة فيها، عبر وسائل إعلامها ومدارسها، ومجالسها النيابية وإدارتها... الأمر الذى دفع الرئيس الأمريكى السابق "بيل كلينتون" أن يصرح فى خطابه أمام الأمم المتحدة أن الإسلام أسرع الديانات انتشارا فى الولايات المتحدة وفى العالم. وتصل هذه الزيادة إلى ٢٣٥٪ فى الخمسين سنة الأخيرة مع ما يلصق به من عنف وإرهاب ، كما أنصف الإسلام وحضارته أيضا الأمير تشالرز ولى العهد البريطانى فى محاضرته الشهيرة فى اكسفورد عام ١٩٩٣م. وإزاء الوضع المتردى لأحوال المسلمين اليوم ظهرت بعض التحديات التى تواجه الإسلام والمسلمين.

ولعل الهجمات المضادة من الظواهر الصحية لأى مجتمع؛ لأن الظروف القاسية والشديدة تشكل ما يسمى بالتحدى، إذ أن المجتمع الذى يواجه ظروفا قاسية، يجمع قواه ليرد على هذا التحدى، وليستميت فى الدفاع عنه، وفى المحافظة على كيانه، فإذا ما نجح فى مواجهة التحدى، وتغلب عليه فإنه يمكن أن يؤدى إلى تحسين قواه الداخلية، وقدرته الخلاقة إلى درجة تؤدى إلى بعثه من جديد، والنهوض به إلى حيث يريد.

والتربية الإسلامية بحكم ما تمتلكه من معارف وأفكار ، ومبادئ وتوجهات ، تعطى للمؤمنين بها قوة الإرادة ، ورغبة التحدى ، حتى وإن بدت فى موقف الضعف أحيانا ،

إلا أن رصيدها القوى - على الأقل من الناحية الروحية - يعطيها المنعة والقوة من الوقوف من جديد أمام ما يدبر لها من حيل ومكائد.

ولعل من اكثر الخلفيات التى ينطلق منها هذا التحدى صراحة ، سواء من المسلمين إلى غيرهم ، أو العكس تلك الآيات الكريمات ؛ فضلا عن القرآن الكريم ككل - ما يلى :

١ - ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (البقرة: ١٠٩).

٢ - ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

٣ - ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ﴾ (المائدة: ٨٢).

٤ - ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٧٣).

٥ - ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

٦ - ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

٧ - ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

والمتأمل للحالة التى عليها المسلمون الآن يرى كثيراً من التحديات التى تواجههم وهى فى حقيقة أمرها تحديات للتربية الإسلامية، لأنه لا فصل بين الإسلام كشريعة، تحكمها المبادئ والقوانين والثوابت والمتغيرات من جهة وبين التربية الإسلامية كمنهج حياة، وأسلوب إعاشة من جهة أخرى ؛ انطلاقا من أن الشريعة الإسلامية لم تأت إلا لمصلحة العباد.

ولعل السبب الرئيسى فى هذا التحدى - وهو المباراة فى فعل ما، والنزاع فيه من أجل الغلبة - أو فى هذا الصراع - ويطلق مجازاً على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى، كصراع بين رغبتين، أو مبدأين، أو وسيلتين، أو هدفين - لعل هناك أسبابا كثيرة منها :

الجانب العقدى: والتاريخ يقول:

١ - بعد أن دخلت قوات الجنرال " أدموند اللنبى " القدس فى ١٩١٧/١٢/٠٩م من باب يافا ليتقبل استسلام الأتراك الذين تركوا وراءهم ٤٠٠سنة من الحكم ، ووضعت فلسطين تحت الاحتلال الإنجليزى - قال قولته المشهورة: الآن انتهت الحروب الصليبية.

٢ - ربما كان الدافع دينيا وراء قول الرئيس الأمريكى السابق " بيل كلينتون " سأمسك بندقية وأرتمى فى خندق ، وأموت دفاعا عن الدولة العبرية ، إذا ما تعرضت لهجوم من العراق أو إيران.

٣ - استخدام كلمة الحروب الصليبية وما أدت إليه لغة الإعلام الأمريكى بشكل خاص وزلات اللسان ، وهفوات عدد من السياسيين والمثقفين الغربيين عقب أحداث سبتمبر الشهيرة من إعادة الحديث عن العداء التاريخى فى الغرب فى العالم الإسلامى فى خطاب جورج بوش الرئيس الأمريكى ، ضد تنظيم القاعدة ، لكنه فسر تفسيرا يمكن أن يحمل دلالات أخرى. ويبدو أنه تعبير محمل بما فى القلب من كراهية للإسلام.

٤ - إعلان " سلفيو برلو سكونى " رئيس وزراء إيطاليا ، خلال لقائه بالمستشار الألمانى جيرهارد شرودر والرئيس الروسى فلاديمير بوتين فى أواخر سبتمبر ٢٠٠١م ، وفى مؤتمر صحفى بأن الحضارة الغربية خلافاً للحضارة الإسلامية ، تقوم على التسامح والتعددية وهى تتفوق فى ذلك على الحضارة الإسلامية.

ولعل من الإنصاف القول: إن هذه التحديات لا تقف عند السبب الدينى فقط ، بل إن لها أسبابا أخرى متعددة بعضها داخلى نابع من المسلمين أنفسهم ، والبعض الآخر خارجى وبفعل عوامل لا دخل للمسلمين فيها لكنه الأقل. وهذه التحديات يغلب عليها التداخل والتشابك ، ومن الصعب فيها وضع فاصل بين تحد وآخر. ويمكن تقسيم هذه التحديات إلى نوعين: نوع يرجع إلى المسلمين أنفسهم وهى كثيرة ، والنوع الثانى نابع من قوى خارجة عن المسلمين. وفيما يلى بيان لهذه التحديات.

أولا: التحديات الداخلية:

١- أمية المرأة:

يخطئ من يظن أن المرأة نصف المجتمع ، بل هى تتعدى ذلك بكثير ، إن لم يكن فى الكم فهو فى الكيف ، وهذا هو سر تفوق المعادلة لصالح المرأة ، فى كونها أكثر إسهاما فى

التربية من الرجل وأشد تأثيرا على آمال المجتمع وطموحاته ، الأمر الذى يمثل أمية المرأة تحديا للتربية الإسلامية ، وللتنمية بصفة عامة. ولعل مرد ذلك إلى ما يلى :

١ - أن المرأة الأمية - أمية كانت أو متعلمة - أكثر حماسا لتربية أبنائها وتعليمهم أكثر من الرجل.

٢ - أن المرأة المتعلمة تربى أبناءها على القيم ، كما تغذيهم لبناء البدن ؛ لأنها أكثر التصاقا بهم انطلاقا من الحديث الشريف : "من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك" (البخارى : جـ ٥ ، ٢٢٢٧). وتعنى الصحبة - ضمن ما تعنى - الالتزام بما تلتزم به الأم بطريق مباشر ، أم غير مباشر.

٣ - أن ما عند الأم من فقه الأدب والعلم ينتقل أثره إلى أولادها ، وذويها ، والبيئة المحيطة بها فهى مصدر إشعاع لمن حولها : علماء وأدباء ، وخلقا ، وما فيه رضا الله ورسوله (ﷺ).

٤ - أن الأم تعود أبنائها على فعل الخير ، وتقدمه إلى الكل: أسرة ، أو مجتمعا. وصلاح البلاد والعباد ينمو ويزداد عن طريق ذلك.

٥ - أن بعض الأسر تهتم بتعليم الأولاد وتهمل تعليم البنات ، ومع أن أجر تعلمهن مضاعف فى الإسلام يقول (ﷺ): "ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأمن بمحمد (ﷺ)، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ، فتزوجها فله أجران".

٦ - أن نسبة الأمية فى النساء ٨٠٪ فى العالم الإسلامى ، فى الوقت الذى انعدمت فيه تلك الأمية فى كثير من بلدان العالم. ولعل السبب فى ذلك قلة المخصصات المالية للتعليم.

يقول التويجرى : أن تنفق الدول الإسلامية فى مجالات لا تغنى من جوع ، مثل مباريات كرة القدم ، وإحضار المدربين الأجانب ، ثم تخرج المنتخبات العربية والإسلامية من البطولات منهزمة ، أو شبه منهزمة ، أما الإنفاق على المنشآت العلمية ، والتقنية ، والبناء الحضارى - فيتم تقديم المبررات المسوغة لعدم إمكانية ذلك. مفيدا أن عدد الجامعات فى

الدول الإسلامية يصل إلى ٥٠٠ جامعة ، مقارنة مع اليابان ، التى يصل فيها عدد الجامعات إلى ٢٠٠٠ جامعة والنسبة المتخصصة للبحث العلمى هى ٠,٠٥ وهى دون المعدل الأدنى ، الذى هو واحد فى المائة ، فى مقابل النسبة التى ينفقها الكيان الصهيونى والتى تصل إلى أربعة فى المائة.

ويمكن القول: إن التعليم يهتم بشكل واضح فى دعم شخصية المرأة، ويمنحها الثقة بالنفس ويجعلها أكثر وعيا وإدراكا للأمور، وأكثر قدرة على الاختيار، وعلى الدفاع عن حقوقها ويساعدها على رفع مستواها الاقتصادى، والمساهمة بشكل أفضل فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لبلدها، كما يجعلها أقدر على تنظيم أسرتها، والتحكم فى عدد المواليد، وفترات التباعد بينهم، وعلى تحسين تغذية أطفالها وصحتهم، وعلى رفع مستواهم التعليمى، وخفض معدلات تسربهم ورسوبهم، فضلا عن أنه يسهم فى تغيير مكانتها فى المجتمع، وتغيير نظرة الآخرين ، واتجاهاتهم نحوها.

والأحاديث التى تدل على اهتمام الإسلام بالبنت كثيرة منها: عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): "من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن - أى شدتهن - وضرائهن، أدخله الله الجنة برحمته إياهن، قال: فقال رجل: وابنتان يا رسول الله ؟ قال: وإن ابنتان، قال رجل: يا رسول الله وواحدة؛ قال: وواحدة" (رواه ابن ماجه وابن حبان).

ووجه التحدى فى ذلك أن تعليم البنت يتطلب إصرار عليه وتخطيطا للقضاء على أميتها وإن طال أمد تلك الخطة وتكلفتها؛ لأن العائد من تربيتها وتعليمها يدفع الجانب الاجتماعى والاقتصادى ، والدينى إلى المستوى المطلوب.

الأم مدرسة إذا أعدتها ∴ أعددت شعباً طيب الأعراق

وإذا كانت نسبة الأمية لدى الرجال فى العالم الإسلامى تمثل حوالى ٣٥ ٪ - فإن ذلك لا يعنى الرضا بهذه النسبة؛ لأن أمية الرجال وأمية النساء كفيلة بتحقيق التخلف والاحتفاظ بالمستوى المتدنى للعالم العربى والإسلامى. من هنا فإن الأمية للرجال والنساء تمثلا عائقا للتنمية البشرية ، وللتربية الإسلامية.

٢ – الاستعمار التربوى:

يقصد بالاستعمار التربوى تلك الأفكار الوافدة ، وما يتبعها من تحول فى المفاهيم والقيم والآداب ، والمعايير ، والتقاليد ، بحيث أصبحت تمثل نمطا ثقافيا للفرد ، بعيدا عن الثقافة العربية والإسلامية ، إلى حد نبذ الأخيرة ، وتمثل الوافدة ، والإقبال على ممارستها.

وهذه الأفكار الوافدة لها عدة مظاهر – إن صح القول – أبرزها ما يلى :

الأول: المبعوثون إلى الخارج وهم يمثلون خسارة تربوية ، ببعديها: المد والجذر ، فى حالة تضاؤل قيم مجتمعهم الأصلى ، بالنسبة للقيم فى الوطن الجديد. وخسارة مادية وعلمية بالنسبة للوطن الأم. ويكفى أن الدول العربية تخسر سنويا ١.٥ مليار دولار ، لو أنفقت على التعليم المحلى لتحسن حال التربية.

الثانى: تعليم البنات فى المدارس الأجنبية، ومع أن لهذه المدارس جوانب لا تنكر فى طريقة العرض، وفى جاذبية المناهج، وفى متابعة الطالب، وإدارة العملية التعليمية، إلى جانب تنمية المتعلم ثقافيا ولغويا، وتجعله يفكر بطريقة منظمة، لكن فى إطار ما تريد هى – إلا أن ذلك ينتفى إذا تعلق الأمر بالإسلام، أو الحضارة العربية.

وهناك بعض الآراء لبعض المتعصبين الأجانب ، بخصوص المدارس الأجنبية منها: إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربى التى تختفى فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة. ويقول آخر: إن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة ؛ لأنها هى التى تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامى ، وسلخة من مقومات دينه. فالبالية يقدم على أنه من الثقافة والرقص ثقافة والنحت ثقافة ، والجنس أيضاً ثقافة.

ولعل من مظاهر الاستعمار التربوى ما يلى :

- التدريس باللغة الأجنبية فى المناهج الدراسية تجعل المتعلم يشعر بأنها هى لغة العلم والحضارة والتحديث ، وتصبح قالبا للخبرة العلمية.
- التاريخ الذى يدرس ليس هو تاريخ الإسلام ، وإنما هو تاريخ القومية التى تتبعها المدرسة فى هذا ترسيخ لمفهوم الشعوبية والقومية.

- وهذه المدارس تضمن لمن يتخرج منها وظيفة مرموقة ، فى شركة من الشركات الأجنبية ، براتب مرتفع ؛ لتزداد العلاقة بالمجتمع تصرماً وانقطاعاً.

- تمييع قضية الولاء ، وتفتيته بين ولاءات شتى كل حسب مشربه. فالذى تعلم فى المدارس الفرنسية ، تجد عموم ولائه لفرنسا ، ومن تعلم فى مدارس أمريكية تجد أن أحلامه أمريكية وهكذا. وفى هذا إذهاب لريح الأمة ، وتبديد لطاقاتها ، بل استثمارها فيما يعود عليها بالضرر.

الثالث: الطبقة الغنية وهى التى تستطيع دفع مصاريف هذه المدارس ، وهى عالية جداً والاعتماد عليها فيما بعد لتسهيل عمل هذه المدارس ؛ لأنهم الأقرب من امتلاك زمام الأمور سياسياً واقتصادياً وفكرياً فى المستقبل.

وليس بالضرورة أن يكون كل من تعلم تعليما أجنبياً مجنداً لترويج أفكار ما ، أو اتجاه ما ، وإنما يكفى أن يتقبل البعض منهم ذلك ؛ إذ ليست العبرة بالكم وإنما بمن يقوم بمهمة ما تخدم مصالح من جنده. والاختراق بهذه الصورة مضمون ويحقق الهدف منه ، ما دامت هذه المدارس صاغت أخلاق تلاميذها ، وكونت أذواقهم. والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية - وهى مقبولة ، بل ومطلوبة - التى جعلتهم قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبى فصاروا مستعدين للتأثر بالمؤثرات ، التى احتكوا بها أيام الطفولة.

وإحقاقا للحق فإن أغلب المتفوقين علميا ليس من هذه المدارس ؛ وإنما من المدارس الحكومية ، الأمر الذى يؤكد أن التعليم الوطنى تعليم ناجح إلى حد كبير: وطنيا وعلميا. وجماعة عبدة الشياطين - وأغلبهم من المدارس الأجنبية - خير دليل على اختراق البعد القيمى للمجتمع.

٢ـ قلة الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية:

الثقافة هى مجموع العادات ، والأوضاع الاجتماعية ، والآثار الفكرية ، والأساليب الفنية الأدبية والطرق العلمية والتقنية ، وأنماط التفكير ، والإحساس ، والقيم الذائعة فى مجتمع معين أو هى طريقة حياة الناس ، وكل ما يملكونه ، ويتداولونه اجتماعياً لا بيلوجياً.

وليس المقصود هنا نقل الثقافة العربية الإسلامية ، فذلك موجود فى بطون الكتب ؛ وإنما المقصود أن يكون هناك تقويم ناقد لها ؛ لكى تدخل إلى ثقافة العصر بمضامينها ، وجوانبه الفكرية والإنتاجية والإبداعية ، كما أنه ليس المطلوب توحيد الحقائق والمعطيات ؛

وإنما المطلوب توحيد التوجهات والمستويات وليس المطلوب توحيد المقررات والموضوعات، وإنما المطلوب توحيد القيم ، وانساق التفكير.

وقد يبدو واقع الثقافة العربية الإسلامية ، ممثلا فى أن " صوته أعلى من فعله، وجزره أقوى من مده. وقبليته أقوى من مواطنته، وقوميته رهينة فطريته، وعروبته أسيرة تبعيته".

ولعله من المتوقع أن يكون المردود من الاهتمام بالثقافة العربية والإسلامية - " تكوين كتلة بشرية ، منسقة ، ومتناغمة من أفكار الوطن العربى، قادرة - بحكم حجمها وقدرتها - على التفاعل الندى ، وعلى التفاوض والمساومة والضغط، وعلى الطاقة الإنتاجية، وعلى الحفاظ على مصالح تلك الكتلة، وعلى تنمية هويتها ، وخصوصيتها فى محيط الكوننة والكوكبة والعولمة ، مما تفرضه مصالح دول الشمال".

ويبدو مما سبق أن الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية ؛ إنما يمثل خط الدفاع الأول ضد فكرة " الإنسان الكونى " أى الإنسان الذى لا يشعر بأى انتماء خاص لدين ، أو لوطن أو لعقيدة ، أو لقضية.

وحين يكون إنسان " العالم الإسلامى " أو الإنسان الشرق أوسطى بهذه الحالة - فإنه سيكون نهباً. وعبداً لكل ما يطلب منه ، انطلاقاً من إضعاف الجانب الإسلامى ، كحصن من حصون الدفاع ، أو المواجهة ، وتأكيداً لسيطرة الفكر التربوى الوافد ، والسائد فى بلاد الإسلام والمسلمين.

وتمشياً مع الاتجاه الذى يؤكد على إضعاف الثقافة العربية الإسلامية يتم الترويج لبعض المفاهيم البراقة مثل: " ثقافة التسامح " ، " وثقافة السلام " ، التى بمقتضاها يتم استبعاد الآيات الكريمات والأحاديث النبوية التى تحض على القتال ؛ لرد البغى والظلم ، والآيات التى تدعو إلى إعداد القوة ، والتى تستهدف التخويف والردع ، لا الهيمنة أو السيطرة ، وأيضا مثل مفهوم " قيمة الحياة " لاستبعاد تشريع سماوى أساسى فى حياة المسلمين وهو الجهاد ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (الحج: ٧٨) لإقامة دين الله وشرعه ، والتنفيس عن الطاقة فيه ، لتحقيق العدل فى الأرض. عن سهل بن حنيف - رضى الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: "من سأل " الله تعالى " الشهادة بصدق ، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشة" (رواه مسلم والأربعة).

ويلاحظ أن الاتجاهات المشبوهة ضد الثقافة الإسلامية ؛ تستهدف ثوابت هذه الثقافة الأمر الذى يقابل بعين الشك والحذر ، من قبل كثير من المسلمين ، مهما داخلها من إخفاء وتمويه. وكما يقال: الحق أبلج والباطل لجلج.

لقد كانت الهجمة الفكرية والثقافية هو أخطر ما تعرض له العالم الإسلامى ، حيث استطاعت الدوائر الاستعمارية أن تعرض فكرها وثقافتها على أجيال الأمة ، وفق أساليب منهجية مدروسة ، ونجحت فى ذلك إلى حد كبير ، بحيث أن روح التحرر التى كانت تظهر فى الأقاليم الإسلامية ، كانت لا تخرج عن دائرة الأفكار الغربية ، فقد استطاع الغرب أن يستبدل الشعور الإسلامى العام بالمشاعر الوطنية والقومية والعرقية المحدودة ونتيجة لذلك أصبحت الثقافة السائدة فى المجتمعات الإسلامية ثقافة أجنبية.

وإذا كان الصراع بين الحق والباطل ليس له تبديل ، ولا تحويل ، ولن يقف عند نهاية هذا الطور ، الذى نواجهه الآن - فإن الحرب التى تشن على أمتنا الإسلامية ؛ لأنها الوحيدة - على النطاق العالمى - العصية والمستعصية على الانصياع للتغريب ، والقبول بالحداثة الغربية والعلمانية الغربية ؛ اعتصاما بخصوصياتها الإسلامية ، واستمساكاً بمنهج الإسلام ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟** ﴾ (البقرة: ٢١٧).

إن الغرب يصنع ثقافته التى يعيش بها ، ومن خلالها حياته ، وهى ثقافة تستجيب لفلسفته وحاجة عصره ، وتمتد بقوتها الطبيعية فى أرجاء العالم ، وتجد لها طلبا واستهلاكا فى كل مكان... تماما كالثقافة العربية فى عصور الازدهار الحضارى للإسلام ، كانت ثقافته متسعة تتمدد فى كل الأرجاء. إن الإسلام كدين وثقافة لم يقف فى مده ضد الثقافات الأهلية للبلاد التى دخلت فى حوزته ما دامت تسير فى فلك التعليم والمبادئ التى جاء بها ، وما علينا الآن إلا أن نصنع تلك الثقافة.

٤ ـ زيادة حب الدنيا:

ورد فى معنى الدنيا معان كثيرة منها: كل ما تتلذذ به نفسك فهو دنياك. وكل ما بعد الموت يسمى الآخرة. ومنها: كل مالك فيه حظ قبل الموت فهو دنياك ، إلا ما يبقى معك بعد الموت وفسر البعض هذا الحظ وتلك اللذة بأنها: الدينار والدرهم ، وفسر البعض الآخر بأنه المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وقيل غير ذلك أيضا. وقال أهل السلوك: الدنيا ما شغلك عن الله تعالى. وقال عليه السلام: الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له.

وتزخر الحياة المعاصرة بكثير من ألوان المغريات ، التى قد يضعف أمامها الكثيرون من الناس ، وليس من المسلمين فقط ، يحاولون امتلاكها ، أو اقتناءها أو الوصول إليها ، بهدف تحقيق المتعة منها ، بغض النظر عن حلها أو حرمتها ، ويساعد على ذلك الترغيب

فيها من وسائل الإعلام المختلفة ، التى تخاطب المشاعر بشتى أساليب الإغراء ، والتى قد تتضاءل أمامها أساليب التربية الإسلامية ، بحيث إن عمليات الفرز أو الاستبعاد لاختيار الحلال منها ، وما يفيد الإنسان تربويا - توقع المسلم فى حيص بيص.

وقد نبه الرسول (ﷺ) إلى خطورة حب الدنيا، وزيادة الإقبال عليها بشكل غير متوازن مع الآخرة فقال: "توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بلى. أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن. قال قائل: يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت".

والإسلام لا يحارب الدنيا ، ولا يجعل بينها وبين المسلم عداءًا بدليل أن الغنى الشاكر فى الإسلام أفضل من الفقير الصابر ، وأن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف على أى مستوى من مستويات القوة: صحة ، ومالا ، وعلماً ، وأدباً ، وخلقاً... الخ وأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١) بل إن الله - تعالى - دعا عباده إلى الاستمتاع بالدنيا على شرط أن يكون ذلك حسنا ، وفى إطار الشرع ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ (هود: ٣).

ومعنى ذلك أن التوجه إلى الدنيا مطلوب، كما أن التوجه إلى الآخرة مطلوب ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ (القصص: ٧٧) ولكن التوجه إلى الدنيا فى صورتها المطلوبة مشروط بشرطين:

الأول: أن يتغيا المسلم بما يقوم به فى هذه الدنيا وجه الله. وبهذا يزيد رصيده فى الآخرة.

الثانى: أن تتراجع الدنيا ومطالبها ، إذا حدث ما يستوجب التضحية بها ، كما فى الدفاع عن الأرض والعرض، والدين، والمال، والنفس. وعدم القيام بذلك دليل على وصمة عار وشدة حب للدنيا. وما حروب المبادئ والقيم النبيلة إلا دليل على تفاهة هذه الدنيا. "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء". صدق رسول الله (ﷺ) فهى تبيد وتفنى.

إن الذين تغلغل الإيمان فى قلوبهم ، ووعوا قيمة الدنيا ، وأدركوا وضعها فى ميزان المسلم تتراجع أمامهم مغريات الحياة ، وتهون عليهم مطالبها ؛ لأن مهر الجنة غال ، ومن أراد أن يصل إليها فليغلب جانب العقل ، ويسيطر على شهوات النفس ، أما حب الدنيا بدون توازن فهو المدخل الحقيقى لأن يفقد الإنسان كرامته ومشاعره الطيبة.

ومعنى هذا أنه لكى يحقق الإسلام كرامته ، ويسترد اعتباره ، لابد أن يكف المسلمون عن مسابقة الغرب فى الحرص على متاع الحياة الدنيا الزائف ، والمتمثل فى السلع الاستهلاكية التى لا طائل تحتها.

٥ ـ زيادة الاتجاه إلى التبعية:

تعنى التبعية انقياد الفرد أو الدولة لسلطة خارجية ، أملتها قوة مستمرة منذ زمن بعيد أو قريب ، وتنامت تلك القوة فى غياب الحضارة ، التى أخفق المسلمون فى تقديمها أو الإسهام فيها للإنسان المعاصر ، بينما الآخرون يقدمون إنجازاتهم العلمية ، فى مختلف مناشط الحياة ؛ مما أكسبهم تعاطف العدو والصديق كما أخفق التغنى بالأمجاد الحضارية الماضية للمسلمين لدرجة أن البعض اعتبر هذا التغنى بمثابة اجترار للماضى وجهد ضائع لا فائدة منه ؛ لأن زمن الأحلام ولى ، وحل محله زمن العمل العلمى الجاد ، الذى يثرى الحضارة المعاصرة. وقد تجلت تلك التبعية فى أشكال متعددة ، منها: التبعية فى أنظمة التعليم ، والبرامج التربوية كاملة من الدول الغربية. متناسين كعلماء نفس ، أو اجتماع ، أو كتربويين ، أن ما قد يصلح لبيئة ما ، قد نبت فيها ، ربما لا يصلح لبيئة أخرى ليس من طينتها... وباتت حضارتنا كلها مترجمة: من سياسية واجتماع ، وأنظمة حكم ، وأخلاق وكذا المظهر واللباس ، وعلى مستوى الأفكار ، والتصورات. ومن أهم ما ذكر التشبه بالغرب فى اللباس والأخلاق ، والفكر العلمانى والأخذ برأى الأغلبية فى مسائل حسمتها الشريعة ، وتمييع الأحكام الشرعية ، وإيراد الأقوال الشاذة ، والشبهات عليها ؛ وساعد على ذلك كثرة القنوات الفضائية ، بما تملك من إمكانات ، وما تخفى وراءها من توجهات ، وما تخطط من برامج هادفة ، أغلبها هدام بطبيعة الحال ، تؤصل جانب التبعية ، وتخفى ما يمكن إخفاءه من عوامل الاستقلال والتميز.

ووجه التحدى فى تلك التبعية أن هذا المعنى حاضر غائب فى الشريعة الإسلامية " لا يكن أحدكم إمعة. يقول: إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا ، وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم ".

وهذا الاستقلال يفرض على الفرد أو الدولة تنظيم سلوكها ، وفقا لمرجعية ثابتة ، خاصة بها ، وتطبيقها فى حياتها ، بإراداتها الحرة بمعزل عن الدوافع الحسية ، أو النفعية المؤقتة. وهنا يكمن التحدى.

عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ) "لتتبعن سنن من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى ! قال: فمن ؟" {البخارى: أحاديث الأنبياء ٦/٤٩٥(٣٤٥٦)}.

والحق يقال: إن التبعية ستظل موجودة ما دام التعليم الوطنى غائبا ، وما دام توجيهه وتطويره يتم بأيد أجنبية ؛ لأن التعليم الذى لا ينتمى لوطنه ، ولا يكون قادراً للتصدى لمشاكله ، ومعالجتها وفق تقنية تناسب طبيعته - هو تعليم مستورد ، لا يمكن أن يدخل فى نسيج الوطنية والانتفاع به انتفاع مؤقت. ويتطلب هذا الاستعانة بالطاقات العلمية الموجودة التى أثبت وجودها على المستوى المحلى والعالمى ، وضرب الإغراءات التى تشجعهم على البقاء بعيدا عن الوطن " فقد هاجر ٤٥٠ ألف مصرى من حملة المؤهلات العليا من الماجستير والدكتوراه ، برز منهم ٦٠٠ فى تخصصات نادرة جداً... كما غادرها ١٠ آلاف مبرمج إلى الدول الغربية ، خلال السنوات الماضية ، ٣ آلاف منهم ذهبوا إلى أوروبا ، فى الوقت الذى يعانى فيه السوق المصرى من نقص المبرمجين. وللعلم فإن مصر تتكلف ١٠٠ ألف دولار لإعداد الفرد الواحد من الهاربين ، وأن المبعوث للحصول على الدكتوراه فى الطب الإكلينيكى يكلف الدولة ٧٥٠ ألف جنيه.

وبلغ عدد الموفدين السوريين للخارج من جامعة دمشق وحدها ٣٣٢ طالباً عام ١٩٩٨م عاد منهم لسوريا بعد انتهاء دراستهم ١٨ طالباً فقط. وغادر العراق بين عامى ١٩٩١م - ١٩٩٨م أكثر من ٧٣٥٠ عالماً ، تلقفتهم دول أوروبية وكندا ، وأمريكا.

وإن التبعية تعمل لسيادة الثقافة الغربية ، مما يمثل عملية هدم ضخمة للثقافة العربية ، وهى تشجع على انتشار ثقافة معادية للدين ، وقيم المجتمع ، وبما تحمله من نماذج أجنبية تزعزع البنى النفسية ، والتنظيمات المادية للجماعات الأهلية ، إلى جانب أن تعدد الثقافات فى الحيز الاجتماعى الواحد، ما بين محلية وأجنبية قديمة وحديثة ، دينية وعلمانية - إنما هو أمر يعرض التجانس الثقافى القومى للخطر ، وتخلق صراعات شتى، تعصف بوحدة الأمة ، وتذهب بتلاحمها الوطنى.

٦ـ عدم الالتزام بالشريعة الإسلامية:

يغلب على المسلمين عدم الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية فى معظم مناشط الحياة إن لم تكن كلها ، سواء فى السياسة ، أو فى الاقتصاد ، أو فى الاجتماع ، بل وباعدوا بينهم وبين الأخذ بالعلم ، مع أنه - دون سواه - مبعث كل تقدم ، وأداة كل نهضة ، وسر كل تفوق واعتبروه مظهراً شكلياً ، سواء على مستوى الأفراد - والقليل منهم يأخذه مأخذ الجد - وكذا على مستوى الدولة ، فى الوقت الذى أصبح فيه مسئولية من مسئولياتها، من حيث الأولوية والتخطيط والإنفاق والتشجيع. والتطبيق. وإذا كانت الأفراد أو الشعوب تكتسب قيمتها من حيث شخصيتها ، وتميزها عن غيرها - فإن الشخصية الإسلامية كانت أولى بالاهتمام من قبل المسلمين والتمسك بكل الملامح الجميلة التى تميز هذا الكيان المسلم. ولو تمسك المسلمون بإسلامهم لكان لهم كيان يحترمه القوى والضعيف ، ولفرضوا أنفسهم على من حولهم ، لكنهم ابتعدوا - قليلاً أو كثيراً - عن هذا الكيان المميز ، الأمر الذى جعل صورتهم باهته وليست واضحة.

لقد أظهرت الأحداث " ظاهرة غياب ولاية الأمر العلمية العامة. وهى موجودة منذ أن افترق السلطان والقرآن فى أكثر بلدان المسلمين. وغياب الولاية العلمية ، لا يعنى بالطبع غياب أفرادها أنفسهم فهم موجودون ،لم يخل منهم زمان؛ لقول الصادق المصدوق (ﷺ): "سألت ربى ألا يجمع أمتى على ضلالة فأعطانيها". فالأمة لا تجمع على ضلالة لوجود أهل العلم بالحق فيها ، خاصة إذا كان الالتزام منهم مبنيا على منهج السلف الصالح ، دون التفات عنه ، أو التفات عليه؛ انسياقا وراء أوهام التقارب مع الفرق الضالة. فمرجعية الإسلام ميزان. ولا يصلح الوزن إذا اختلت الموازين.

وقد فطن إلى هذا التحدى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وذلك فى وصيته لسعد بن أبى وقاص حين أمره على حرب العراق ، فقال:

يا سعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (ﷺ) وصاحب رسول الله (ﷺ) فإنه الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته. فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة. فانظر الأمر ، الذى رأيت النبى (ﷺ) منذ أن بعث إلى أن فارقنا - فالزمه؛ فإنه الأمر. هذه عظتى. إياك إن

تركتها ، ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين (تاريخ الطبرى ٤ : ٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢).

والحماية كل الحماية ، والضمان كل الضمان لمسيرة المسلمين فى حياتهم فى الآخذ بما قاله المصطفى (ﷺ) " تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى" وما قال المولى فى كتابه الكريم : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ٣) والالتزام بالشريعة الإسلامية من قبل الكثرة على الأقل - مظهراً ومخبراً ، وسراً وعلانية - يهئ النشء لتربية سليمة ، ويفتح أمامهم الفرص لمعرفة جوهر هذا الدين ، وسر عظمته ، الأمر الذى يمكن أن يجعل منهم جنداً محصنين ضد غزوات التغريب وآفات المدسوسين على الإسلام وأهله.

والفهم الصحيح للإسلام يقتضى معرفته ، والوقوف على أصوله الثابتة ، من منابعه الأولى القرآن الكريم والسنة النبوية.أما التوجهات التى تفسر تلك المنابع حسب أهدافها ، وخدمة مصالحها فإن ضررها أكثر من نفعها ، "فالحلال بين الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب" (رواه البخارى ومسلم).

وتشير عبارة " وبينهما أمور مشتبهات " إلى أن هناك قصوراً وعجزاً من شريحة كبيرة من المسلمين فى فهم ما التبس عليهم من أمور دينهم ؛ بسبب غياب الاجتهاد المطلوب ، الأمر الذى يولد الفرقة والانقسام بينهم ، لكنهم إذا التزموا بحدود الله فإن رحمة الله تشملهم " عن أبى ثعلبة الخشنى - رضي الله عنه - عن رسول الله (ﷺ)قال : "إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء - رحمة لكم غير نسيان - فلا تبحثوا عنها" (رواه الدارقطنى).

ويمكن القول : إن الإسلام هو دين الله الفطرى ، البسيط الواضح ، الذى يتسم باليسر لا بالعسر ، وبالرفق لا بالعنف. يقول (ﷺ) : "إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه" (رواه مسلم ٢٥٩٤) وهو السهل لا الصعب. قال (ﷺ) :

"رحم الله عبدا : سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى {سمحاً إذا قضى} سمحاً إذا اقتضى" (رواه الترمذى).

ونحن المسلمين - ضعفاء هذا العصر ، تآلبت علينا الدول ، وتكالب علينا الأعداء وصرنا فريسة للمتصارعين ، ونهباً مباحاً لأكلة الحقوق. أهنا أنفسنا فهنا على القريب والبعيد ، وكان الأولى أن يكون ذلك مدعاة للوحدة ، وسبباً للتكتل والتجمع ، ولكن ما زال الحال هو الحال فأصبح الوضع تدنيا فى المستوى ، وفقيراً فى المواجهة ، وغيابا عن الساحة العالمية ، وغموضاً فى الفهم الصحيح للإسلام ، وأضحى المسلمون جماعات شتى لا يجمعهم إلا الاسم ، مع أن الحق واضح.

تفكك المسلمون بسبب خلافاتهم فى فهم الإسلام ، ووصل الأمر إلى أن كفر بعضهم بعضا وتباعدوا فيما بينهم بدلاً من التقارب ، ومال البعض منهم إلى تصديق خصومهم ، ولم يفطنوا إلى ما يدبر لهم ، وانشغلوا بأمور ثانوية. مثل: تقصير الثوب أو تطويله ، أو وضع اليد اليمنى على اليسرى أو العكس ساعة الصلاة، وأصبح المسلمون شيعاً وأحزاباً، بددوا طاقاتهم فيما بينهم، ونموا الخلافات بينهم لصالح عدوهم، ونسوا المآسى التى يعيشونها الآن وذكى العدو ذلك، وكأن التاريخ لم يكن.

ومن هنا فإن البعض يرى أن " لا مصلحة لنا فى تصوير النزاع تصويرا دينياً، كأنما هو صراع بين الإسلام والمسلمين من جهة والغربيين المسيحيين والعلمانيين من جهة ثانية. فالغرب وبعض المسلمين أن يكون كذلك فلنهتم بقراءة تجربتنا الإسلامية الحديثة والمعاصرة، ونضع أمامنا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

ثانيا: تحديات خارجية:

وهى التى تخيلها الأعداء، وربما شارك فيها المسلمون فأصبحت تحديات خارج نطاق القوة الإسلامية: وتتمثل هذه التحديات فيما يلى:

١ـ ادعاء عداوة كاذبة.

صنعت أمريكا لنفسها عدوا جديدا بديلا عن الاتحاد السوفيتي بعد سقوطه، وهو الإسلام، وضمت إلى ذلك الأنظمة الإسلامية غير الديمقراطية، تحت دعاوى الخوف من الأصولية الإسلامية وقرنتها بالإرهاب، وساعد على هذه الإدعاء الصراع بين اليهود والمسلمين، فعد المسلمون العدو الجديد.

وقد يرجع هذا الادعاء لواحد من الأسباب الآتية، أو لها كلها مجتمعة. وهى:

أ - أن القوى الكبرى الواعية تحب أن تكون في حالة استنفار دائم للقوى العاملة فيها بحيث تحتفظ لنفسها بالقوة، وتتخيل أن هناك عدوا يجب الاستعداد له، والعمل على مواجهته فى شتى الميادين وإلا استكانت تلك القوى إلى الرفاهية، والانغماس فى بحبوحة العيش.

ب - أن أمريكا - كقوة - ربما فهمت المعنى الحقيقى للآية الكريمة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠). فليس يكفى أن تكون القوة لعدو ظاهر ومعروف؛ وإنما القوة يجب الحرص عليها؛ لظهور عداوة مفاجئة، لم تكن في الحسبان والسبيل لذلك هو الحفاظ على قوة الردع والترهيب.وسند تلك القوة هو الإنفاق في كل ما يدعمها: مالاً، علماً، سلاحاً... الخ وهناك مقولة رومانية تقول: إن كنت تريد السلام فكن مستعدا للحرب.

جـ - أن هناك تخوفاً من تصالح الحكومات والأنظمة العربية والإسلامية مع الحركات الإسلامية، التى أصبحت تمثل القلب النابض للأمة الإسلامية، والقاعدة العريضة لها بما تحمله من فكر إسلامى، يتبنى الإسلام ويعمل له، يضحى من أجله، ويتفانى فى خدمة الأمة، وهي تمثل طاقة كبيرة، إذا أضيفت إلى طاقة الحكومات والأمر الذى يمكن أن يشكل قوة كبرى، تستطيع - بفضل الله - أن تواجه التحديات، ومخططات الأعداء.

د - أن الشعوب العربية والإسلامية لديها البترول، الموارد الطبيعية، التى تحتاج إليها أمريكا والغرب بشدة. ومعنى هذا أن تلك الشعوب تمثل هدفا للمصالح والمطامع والتى تعمل القوى الكبرى على استغلالها ، والسيطرة عليها، وبالتالى فهى تختلق الأعذار وتفتعل الأزمات؛ لتبرر عدوانها، وتحقيق مطامعها.

ووجه التحدى فى ذلك أن على المسلمين تفنيد تلك الإدعاءات من خلال المجهودات الفردية والجماعية، وضرورة تنمية الثقة بين المسلمين بعضهم البعض بحيث تستغل الإمكانات والموارد لصالح تلك الشعوب أولا، ودراسة المتغيرات المعاندة، وتحويلها - قدر الإمكان - إلى متغيرات مساعدة، ومحاولة التماسك؛ امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

لقد عانت صورة الإسلام والمسلمين طويلا من التقديم المشوه، والمبالغ فى التأكيد على الحالات الفردية الاستثنائية، والنادرة، وإلصاقها بالإسلام فى وسائل الاتصال الجماهيرى الغربية، ومن ثم العالمية بحيث أصبح الإسلام ومعتقداته، والمسلمون ومجتمعاتهم عرضة لكل أنواع القدح والنقد الجارح؛ مما ولد شعورا عند الكثير من الشعوب، حتى غير الغربية بأن هناك خللاً ما، فى الإسلام والمسلمين. ومؤخراً أصبحت تعاليم القرآن الكريم ذاتها محرضة على العنف والكراهية، فى تصور هذه الوسائل الإعلامية. والغريب أن الإسلام وحده هو المستهدف دون سواه.

٢ ـ إثارة الأزمات السياسية:

يذهب بعض الكتاب إلى أن التعليم الإسلامى فى الغرب يمكن أن يسبب أزمات سياسية بسبب تطرفه ، ونظرته للغرب ، وتأصيله للارتباط العرقى بين المتعلمين ، وأوطانهم الأصلية ووصلت إلى الحد الذى طالب بعض الكتاب بالحد من انتشار المدارس الإسلامية ، وبالتدخل العاجل فى مناهج ومقررات المدارس الإسلامية ، وتقنين اختيار المدرسين والمشرفين على هذه المدارس للحد من ظواهر تصدير الإرهاب ، وتجفيف منابعه.

وذهب بعض المفكرين الغربيين أمثال "أنتونى هاريكى" إلى أن المسلمين لا يتوافقون مع إيقاع الحياة الغربية. فحاجاتهم تسبب تعطيلا للحياة الغربية ، فهم يريدون أماكن خاصة للعبادة ، وأطعمة خاصة ، وألبسه معينة ، حتى إنهم يتمايزون فى المقابر؛ لذلك لابد من التخلص منهم ، والتضييق عليهم ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٨).

ولعله من المعروف أن هناك عموميات ثقافية ، وخصوصيات ثقافية لأى شعب أو مجموعة من الناس. وهذه الأخيرة مقبولة ، ويتم التعاون معها بصورة ما ، أما إذا كانت خاصة بفئة أو مجموعة تخالف السكان الأصليين - فإن البعض ينظر إليها على أنها معوقة للحياة وتحمل المجتمع أكثر مما يحتمل. وبعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ذهب الأمريكان إلى تخليص المجتمعات الإسلامية من كل العوامل التى توفر تربه خصبة لنمو "الإرهاب" - من وجهة نظرهم - وكان التركيز على الوضع التربوى، وضرورة تعديل المناهج التعليمية ، بما يحول الإسلام إلى دين سلام ومحبة على طريقة الأمريكان. فهم يريدون إسلاما حسب تصورهم ووفق ما يناسب منفعتهم.

ويبدو أن ثمة محاولة من قبل البعض فى النظام العالمى للقضاء على الإسلام ، وقد وصف البعض هذا الاتجاه بأنه حرب صليبية ، تحت دعوى صدام الحضارات ، مع أن الحقيقة أن الأصل هو تكامل الحضارات ، حتى وإن قل إسهام المسلمين الآن فى تلك الحضارة. ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

٣ ـ رغبة التسلط والهيمنة:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ (العلق: ٦ ، ٧) ربما ما يسرى على الفرد يسرى على المجتمع. والقوة العلمية والاقتصادية التى تتميز بها أمريكا اليوم هى التى تعطيها السند لكل عمل تحب أن تقوم به ، لا تعمل حسابا لغيرها ، ولا حساباً لحقوق الأفراد أو الدول. ولعل هذا شأن الدول و الإمبراطوريات الكبيرة على مر التاريخ. يجرى ذلك خاصة بعد أحداث ٢٠٠١/٠٩/١١م فقد تحولت القوة الأمريكية إلى البطش بالمسلمين فى كل مكان متهمة إياهم بأنهم إرهابيون ، سواء أكانوا من مواطنيها ، أم من خارج بلادهم ، بل إنها تسعى للهيمنة على العالم العربى والإسلامى ، وإضعاف المنطقة والسيطرة على ثرواتها ، ولن تتردد فى تقسيمها فى حال ما إذا وجدت ذلك مناسبا لمصالحها.

والذين يقرون بهذا التحدى يرون أن الغرب فى الوقت الراهن ليس ملتزماً بالنصرانية كمنهج فعلى للحياة بل إن أغلب الغرب علمانى ، يؤمن بالحرية الدينية فى المجتمع لجميع الأقوام ، ولا أدل على ذلك خلو الصراع من مضامينه الدينية فى الغالب ، فى الوقت الراهن من أن أوروبا وأمريكا المسيحيتين تمثلان الملجأين الرئيسيين للمسلمين الهاربين بدينهم ؛ لدرجة أنهم يقيمون شعائرهم الدينية ، دون مضايقة.

وبناء على ذلك فإن التحدى الوارد الآن هو تحدى مصالح ، وأطماع ، بغض النظر عن شرعيته الدينية أو الشرعية الدولية. والرد المناسب لذلك هو الوقوف أمام تلك الأطماع بشتى الوسائل على أن تستمد الثقة فى هذا الرد من التعاليم الإسلامية ، التى لا تقر الظلم ، ولا العدوان على الآخرين ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٤) فقد فصلنا الإسلام عن الحياة ، وحرمناه من أداء دوره كنعمة للناس أجمعين. فالدين المعاملة.

ويكفى أن الولايات المتحدة هى دولة ذات نزعة استيطانية حربية منذ قيامها. فهى الدولة الوحيدة التى استعملت قنبلة لإزالة ٣٠٠ ألف إنسان فى ثوان معدودة فى اليابان.

والخطر يشمل الكل؛ مما يتطلب الوقوف صفاً واحداً إزاء هذا الطغيان ، الذى لا يخضعه إلا قوة الردع ، والرد المناسب.

إن المسلمين هم الذين جنوا على أنفسهم ، حين تركوا العمل ، وتكاسلوا فى درس العلوم والفنون ، التى خلفها لهم أسلافهم ، وأهملوا مزاولة الصناعة فى العصور الحاضرة ، حتى صاروا عالة على الغرب فى كل شئ ، ولم يكن الإسلام هو الذى أمرهم بالتقاعد عن واجباتهم الدينية والدنيوية ، حتى أعطوا الغرب مسوغا لأن يرموا الإسلام بالجمود والتأخر. وهو منهم برئ.

ثالثاً : ركائز أساسية فى مواجهة أى تحد :

من يتأمل الإسلام يجد فيه التوجيه السديد لحل أى مشكلة يمكن أن تواجه أهله ، إذا فهموا دينهم على وجهه الصحيح. ومشكلة القوة الغاشمة ، التى يمكن أن يتكئ عليها خصوم الإسلام وأعداؤه ، يمكن التصدى لها بما يلى :

١ – فك حالة الخصام بيننا وبين القراءة.

ليس صدفة أن تكون أول آيه نزلت فى القرآن الكريم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق: ١) إلا لأن فيها الخير كله سلماً وحرباً ، ضعفاً وقوة ، صحة ومرضاً ، نفعاً وضراً ، عزاً وذلاً ، حياة وموتاً ، علماً وأدباً ، فناً وثقافة ، ديناً ودنيا. وإذا كان القرار السليم أساسه المعلومة الصحيحة ، فإنه يصبح عدماً فى غياب القراءة الواعية ، ومن هنا فإن التصالح مع القراءة ، وعدم هجرها ضرورة حتمية. والتمكن من أنشطها المختلفة : جهرية وصامتة وسطحية ومتعمقة ، سريعة وبطيئة ، فاهمة ومتذوقة ، خاطفة ومحللة – أمر بما يمليه الدين وموقف المسلمين تجاه المستحدثات العصرية ، التعامل معها بمهارة ، بما يخدم كل هدف منها.

وليست صدفة أن تكون أول آية نزلت فى القرآن الكريم " اقرأ " إذ تستبعد جانب الأمية ، بل إن القضاء عليها ليس محل خلاف ، ووجودها نقطة ضعف ، بل ووصمة عار فى جبين أمة نزل فيها القرآن الكريم. وإذا كانت" نسبة الأمية فى الذكور تصل إلى ٦٠.٥٪ فى أرياف العالم الإسلامى، وفى الوسط النسوى٨٠٪ " فإننا لا نفاجأ بتأخر التنمية وقصور الوعى بمجريات الأحداث، وبها باتت الأمية تعوق المجتمعات الإسلامية عن التطور ومسايرة الركب الحضارى، وليست المقصود هنا الأمية الأبجدية فحسب؛ وإنما الأمية السائدة فى كل مناشط الحياة: دينية، علمية ، ثقافية... الخ.

٢ـ نصرة دين الله:

وضع المولى سبحانه قانوناً نقتل به أى تحد ، وننهى به كل صراع ، وهو نصرة دين الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد : ٧) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (الحج : ٣٨).

والنداء يخاطب المؤمنين بالله ورسوله أن ينصروا دين الله ورسوله ، ويدافعوا عنه ، بعد أن يطبقوه على أنفسهم ، فإن فعلوا ذلك كانت مؤازرتهم ، معاونتهم ، وتثبيت أقدامهم فى ميدان المعركة ، بحول الله وقوته ، وهى أمور لا تخضع لقانون بشرى ، أو منطق وضعى ، أو حسابات مادية.

ووجه التحدى فى هذه الآية أن قيام المؤمنين بنصرة دين الله ورسول محل شك ، يدل عليه التعبير بإن ، التى تدل على معنى الشك لأنهم إن لم يفعلوا ذلك وتكاسلوا ، ولم يؤدوا حق الإيمان ، كان البديل لذلك تحويل النصر والغلبة لمن أخذ بأسباب القوة ، تطبيقاً للآية الكريمة ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١٤٠) ؛ لأن الإيمان السلبى إيمان ناقص ، ولا يستحق المعونة من الله. ودفاع الله خاص للمؤمنين المخلصين.

وهـذه النصرة من المؤمنين لدين الله مطلوبة من كل مسلم ، كل حسب طاقته بالمال بالعلم ، بالنفس ، بالدعاء ، بحيث يشعر الكل أنهم أسهموا فى تحقيق النصر لدين الله. عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - سمعت رسول الله (ﷺ) - وهو على المنبر يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" (٨/٦٠) ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى" (رواه مسلم وغيره). والرمى هو إصابة الهدف فى كل منشط من مناشط الحياة بمهارة عالية.

إن الإسلام دين الحياة. ومن لم يأخذ بشرعه فلا حياة له ، وهو دين القوة ، ومن لم يأخذ بأسبابها فمصيره الضعف والهوان وهو دين العزة ، من لم يصر عليها ، اعتمادا على الله فليس له إلا المذلة و الضياع. وهو القرآن ، ومن أعرض عنه فحياته ضيق وضنك ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤ – ١٢٦).

ومن هنا فإن اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم من حيث المضمون ينبغى أن يكون مثل الاهتمام به من حيث الشكل. وهى مظاهر متعددة: تلاوة: فى البيت ، وفى المدرسة

وفى السيارة ، وفى الطريق من الطفل والرجل والمرأة ، ومن الأجهزة المختلفة ، وكذلك حفظا وتسميعاً ، وكذلك حفظاً فى الألواح ، والمصاحف ، الإطارات الفنية التى تجمل بالخطوط المختلفة. أما الاهتمام به من حيث المضمون فهو فهمه ، ثم العمل بما جاء فيه. والدليل على ذلك أن صحابة رسول الله (ﷺ) كانوا يتلونه أكثر من مرة ، حتى يثبت وبعد الحفظ والإتقان ، كان كل حافظ ينشر ما حفظ ، ويعلمه للأولاد والصبيان.

وإذا كان حفظ القرآن الكريم وبقاؤه تكفل الله به ، كما ذكر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) - فإن العمل به مسئولية كل مسلم؛ لصالحه ولصالح مجتمعه والخير كل الخير فى الاهتمام به شكلاً وموضوعاً.

٣ - التمكن فى الأرض مرهون بطاعة الله ورسوله.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤٠، ٤١).

أكدت أساليب التوكيد المتعددة فى الآيتين الكريمتين ضمان استمرار النصر للمؤمنين وتمكينهم فى الأرض.

وهذا التمكين ليس حقاً واجباً على الله؛ وإنما هو منة من الله ، ومنحة منه ، لأن دين الله ليس محلاً للأخذ به ، والتمسك بشريعته لفترة ما؛ لتحقيق هدف ما ، ثم التحلل منه وإنما هو منهج حياة ، ويجب الحفاظ عليه ، والاستمرار فى التعامل به مع الحياة ، فإذا تغير هذا الالتزام وأصابه التغير ، كان التغير المتوقع ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٥٣).

ووجه التحدى هنا على مستوى الفرد والجماعة المسلمة هو حمل النفس على الالتزام بدين الله ويدعم هذا المعنى قول المصطفى(ﷺ): رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا يا رسول الله: وما الجهاد الأكبر ؟ قال (ﷺ): جهاد النفس. قال ذلك رسول الله (ﷺ) لأصحابه بعد إحدى غزواته. وقول المولى سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

ويتطلب هذا التمكين تحكيم مبادئ الدين وتعاليمه فى حياتنا العامة والخاصة ، واستمرار مراجعة ما يجرى فى حياتنا ، وتقويمه وفق معايير الدين الثابتة ، وقيمه العليا ،

لأن الحياة خارج نطاق الشرع لن تكون نهايتها إلا خسارة المجتمع ، وفقدان استقلاله وتميزه.

٤ – الإخبارات الإسلامية المشبعة بروح التفاؤل:

مهما مر، ويمر على المسلمين من مواقف عصيبة، لا يمكن أن تغلب اليأس على الأمل والفشل على النجاح، والإحباط على الانبساط - فإن المؤمن الحقيقى لا يعرف اليأس ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧). ومن هذه الإخبارات قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧) ، ومنها أيضا ما ثبت فى الصحيح ، أن رسول الله (ﷺ) قال: إن الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها " وهو وعد إلهى مشروط بالإيمان. ومنها ما رواه تميم الدارى قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "ليبلغن هذا الأمر (يعنى أمر الإسلام) ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر" (رواه أحمد فى مسنده). ومنها ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم ، ثم يقول الحجر: يا مسلم ، هذا يهودى ورائى فاقتله" (متفق عليه).

وهذه الإخبارا ت بالنصر تستهدف العمل للقاء العدو ، والاستعداد لمواجهته. فهى لا تعفى المسلمين من تحمل المسئولية ، ولا تطلب منهم الركون إلى الراحة اعتمادا على وعد الله فقط ، كما تستهدف تحويل هذا الأمل والتفاؤل إلى واقع حياتى يراه المسلمون رأى العين. فالنصر والرزق لابد لهما من العمل والحركة لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول: اللهم ارزقنى فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. ونصر السماء لا يأتى إلا لمن يستحقه.

رابعاً : وبعـد :

فما سبق عرضه بإيجاز من التحديات يمكن الخروج منه بما يلى :

١ - كثرة انتشار الإسلام فى العالم ، مقارنا بالملل والديانات الأخرى سببه طبيعته الذاتية واعتماده على الحق ، بالرغم من تضاؤل عملية الإعلان عنه أو التبشير به.

٢ - أن صدمة أحداث ٢٠٠١/٠٩/١١م عجلت بما يكنه القادة الأمريكيون إزاء الإسلام والمسلمين بإعلانها حرباً صليبية. ومهما تجاوزوا ذلك بالاعتذار عنه؛ لتجنب

استعداء الدول الإسلامية - فلن يغير مما بدر منهم فى شئ ؛ لأن المواقف التاريخية السابقة تثبت صحة ما بدر من هؤلاء القادة. وكما يقولون: إن سلوك الإنسان مثل بصمة اليد غير قابل للتغيير. وسلوكيات القادة الغربيين تبدو من هذا النوع.

٣ - أن الأصل فى معاملة المسلمين لغيرهم هو السلم ، أما الحرب فهو أمر طارئ ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال: ٦١) وليس طلب السلم لعجز؛ وإنما لأن هناك أموراً أخرى تعوض القوة وهى الإيمان بالله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج: ٣٨).

٤ - أن الآيات التى تصدرت هذا الفصل لا تفسر على ظاهرها؛ وإنما تفسر فى ضوء الآيات الأخرى المماثلة لها؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا. وعليه فإن ما يفهم من هذه الآيات محمل على الآية الكريمة ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة: ٨، ٩). فمن تعامل مع المسلمين بالعدل، فعليهم الالتزام بذلك مع غيرهم.

٥ - أن معظم التحديات التى تواجه التربية الإسلامية إنما هى من فعل المسلمين أنفسهم. وعليهم وحدهم مسئولية التغلب على هذه التحديات ، إذا رغبوا فى ذلك.

٦ - أن التحديات الخارجية تسقط من تلقاء نفسها، إذا ما تنامت القوة الإسلامية؛ لأن توازن القوى تجبر الخصم على مراجعة حساباته، قبل الإقدام على عمل ما. وفى غياب القوة تفتح شهية الأطماع والتوسع، وتداس المبادئ والقوانين. وأول التوازن وإعداد القوة: الثبات، وذكر الله، وطاعة الله ورسوله، والوحدة، الصبر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٥ ، ٤٦). ويقول (ﷺ) "لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا ، واكثروا ذكر الله".

٧ - أن التحدى ظاهرة صحية للضعف ، حيث الوقفة مع النفس ، والمراجعة لما تم ، والإفادة من الدروس السابقة ، انطلاقاً من الحديث الشريف: " لا يلدغ المؤمن من

جحر مرتين والمؤمن كيس فطن " نظراً لأن المفترض فيه ذلك. وبغير ذلك له مسمى آخر.

٨ - أن وقف الجهاد، تنفيذا لطلب الأعداء من المصائب الكبرى، التى أصابت ثقافة الأمة فى الوقت الراهن، وعطلت ما يخيف الأعداء، وما يلقى الرعب فى قلوبهم. وهذا يتطلب إكساب الطلاب مهارات الدفاع عن النفس، وتهيئتهم لمناخ الحروب، وتعريفهم بأساليب الحرب النفسية، التى يستخدمها العدو.

٩ - أن السيطرة السياسية لا يمكن أن تكون مستقرة ، وطويلة الأمد ما لم يرافقها الفكر الإسلامى الأصيل عن الساحة. وأولها الفكر التربوى المشتق من الكتاب والسنة وحضارة الأمة.

١٠ - أن الغرب اكتشف نقطة القوة فى الشعوب الإسلامية ، وأيقن أن الوعى الإسلامى الجديد بإمكانه أن يتحداه ، ويصنع الكثير ، فبادرها بوأد هذا الوعى ، قبل يختصر مسافات الزمن ويصنع الموقف الحاسم المؤثر فى الساحة.

١١ - أن الحرب ضد العرب والمسلمين ، ليست حرباً طارئة أو مستحدثة ؛ وإنما هى عميقة الجذور. وما أظهرها الآن هو اضطرار الغرب للجهر بأبعادها الحقيقية ، تحت ضغط الصحوة الإسلامية العالمية.

١٢ - إن جوهر الصراع هو منع العالم الإسلامى من امتلاك التقنيات الحديثة ، وفى تطوير مجتمعاته سياسياً وإدارياً خاصة سرقة العقول البشرية ، وتشجيعهم على الهرب من أوطانهم الأصلية ، والانضمام إلى فرق البحث العلمية فى البلاد التى هربوا إليها.

١٣ - أن بعض المدارس والمؤسسات التعليمية الأجنبية تقوم بدور المعلوماتى والاستخبارى لصالح الراعى لتلك المدارس ، فضلاً عن غرس بذرة القابلية للاستعمار لدى نفوس خريجى هذه المدارس.

١٤ - أن معنى الجهاد الحقيقى هو حمل النفس على الالتزام بالشريعة الإسلامية ، فإذا تحقق ذلك لكل المسلمين فالنصر المؤكد فى الجهاد الأصغر ، وهو قتال العدو.

١٥ - فك حالة الخصام بيننا وبين القراءة ؛ لأن القراءة الموجهة هى الطريق لتنمية النفس ومعرفة العدو والصديق. وكما يقال : الشعوب القارئة هى الشعوب المتقدمة.

١٦ - أن الصراع بيننا وبين اليهود صراع أبدى ، يتطلب منك الحذر من هذه الفئة. وزاد من حدة هذا الصراع الممارسات الإسرائيلية التى تقوم بها داخل فلسطين من قتل وطرد وتشريد ، وتخريب ودمار ، وتجريف للأراضى الزراعية ، وقتل للحياة نفسها. وكل ذلك مسجل بالصوت والصورة لا ينساه المسلم المعاصر أو الأجيال التالية له.

١٧ - أن مسرح الحياة لو أتاح لبلد آخر غير أمريكا ، أن تأخذ وضعها فى القوة والسيطرة على العالم. لما تردد فى أن تمارس ألوانا من البطش ضد المسلمين أو ضد دولة أخرى الأمر الذى يتطلب إعداد القوة للمسلمين عملا بالآية الكريمة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

١٨ - أن على البلاد الإسلامية أن تحتضن أبناءها ، وتحقق مبدأ العدالة بينهم ، وتتبنى الموهوبين منهم ، واستغلالهم لصالح أوطانهم وتنميتها ؛ لأنهم الثروة الحقيقية التى لا تنتهى ، بعكس الموارد الطبيعية التى قد تؤذن بالانتهاء.

١٩ - أن القوة الكبرى التى تغلب مبدأ القوة على العقل مصيرها إلى الهلاك ، والبعد عن احتلال الصدارة بين الدول ؛ لأن الظلم بداية خراب العمران ، ونهاية ازدهار الحضارة.

٢٠ - أنه يجب الحذر من التبعية التعليمية والحضارية ، التى تسمح للقوى الخارجية أن توجه مسار التعليم لصالحها ، بحذف ما تشاء ، وإضافة ما تشاء ، من المناهج الدراسية تحت ذريعة تعديلها وتطويرها ، بل يجب الاستعانة بالخبراء المتخصصين من أبناء الوطن ، إذا رئى فيهم الأمانة لتحقيق ذلك. وهم كثر.

٢١ - إن بداية القوة الحقيقية ، بل وأساسها تربية المواطن تربية إسلامية صحيحة ، وفق آمال المجتمع وتطلعاته ، وطموحاته وهو الأداة الوحيدة لتحقيق ذلك.

ويبقى قبل هذا وبعده أن سنة الله فى كونه لا تتخلف. فضعف المسلمين اليوم مصيره إلى القوة غداً ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ونور الله لا يمكن أن ينطفئ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف: ٨ ، ٩). والمسلمون متفائلون مهما طال الصبر.

إن القوة الكامنة فى الإسلام هى التى جعلت المسلمين ينفجرون ، وهم فى حالة ضعف وتفرق فحطمت الصليبيين فى " حطين " وهزمت التتار فى " عين جالوت " وأسرت لويس التاسع فى "دار ابن لقمان " بالمنصورة.